

لماذا دس جبريل الطين في فم فرعون؟

لو سمحتم ما صحة هذا الحديث: قال رسول الله ﷺ: لما قال فرعون: "آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ" قال: قال لى جبريل: لو رأيته وقد أخذت من حال البحر، فدسسته في فيه، مخافة أن تناله الرحمة، ولماذا فعل جبريل ذلك إن صح الحديث؟

روى الترمذي، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل: يا محمد، فلو رأيته وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الألباني: صحيح لغيره. ورواه أحمد وابن حبان بلفظ: إن جبريل كان يدس في فم فرعون الطين، مخافة أن يقول: لا إله إلا الله. وصحح إسناده أحمد شاكر هذه القصة تبين لنا مدى البغض الذي كان يحمله جبريل لفرعون الطاغية، حتى أنه عندما قال (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ) [يونس: 90]، حال غرقه، خشي أن تدركه رحمة الله، فأخذ يدس التراب في فمه، ليمنعه من النطق بكلمة التوحيد. وقد يقال وما يضير جبريل أن يرحم الله فرعوناً، ويغفر له؟

والجواب: إن العبد يصل إلى حالة من الكراهية للظالمين بحيث يدعو الله أن لا يقبل توبتهم، ولا يدخلهم رحمته، وهذا وقع من موسى، فإنه دعا على فرعون وملئه أن يشد الله على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فقال: (رَبَّنَا

إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس: 88]. وفرعون آمن حيث لا ينفع الإيمان ، فإن الله تعالى قال : (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يونس/90 .

ومثل هذا الإيمان لا ينفع صاحبه ، وقد قال الله تعالى : (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) . غافر/ 84 ، 85

ولما قال فرعون ذلك قال الله : (الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) يونس/ 91 .

ومن هنا يتبين أن غرقه لا علاقه له بجبريل عليه السلام ، بل لكونه مات كافرا ، ولم يؤمن الإيمان النافع .